صديقة الثورة الجزائرية: «إيفلين سفير لافاليت» قراءة في كتابها «جزائرية فقط...مثل نسيج»

Friend of the algerian revolution: the late Mujahida «Eveline Safir Lavalette»

دة. سعيدي وهيبة*، جامعة المسيلة (الجزائر)
s.wahiba@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/08/21 تاريخ القبول: 2020/09/15 تاريخ النشر: 2020/09/30

ملخص:

حظيت ثورة التحرير الجزائرية بمساندة نساء ورجال من أبناء المستعمر الفرنسي نفسه، ممن جندوا أنفسهم في صفوفها. فالرجال هم تقريبا في غنى عن أي تعريف أمثال- على سبيل المثال لا الحصر-: فرانز فانون، موريس أودان، هنري أليغ، وبيار شولي الذي فارقنا يوم 05 أكتوبر 2012. أما النساء، فقد اخترن أن يقبعن في دائرة الظل إلى أن رحلن؛ على غرار السيدة إيفلين لافاليت صاحبة كتاب: « Juste algérienne … comme une tissure »، «جزائرية فقط...مثل نسيج»، التي كادت أن تلقى نفس المصير لولا صدور كتابها، والذي كشفت فيه عن صداقتها القوية بالجبهة؛ كما كشفت عن صديقات أخريات لم نسمع بهن قط، فرنسيات كن رفيقاتها في النضال. ففي هذا السياق يأتي عرضنا لكتابها كمحاولة بحثية تهدف إلى تحديد أسباب وعوامل نشوء تلك العلاقة وما أثمرت عنه من صور رائعة لنضال لم يكن حكرا على الجزائريين والجزائريات فقط.

الكلمات المفتاحية: مذكرات، انكسار، تعذيب، المدية، السجن.

*- المؤلف المرسل

Abstract :

The Algerian liberation revolution was supported by women and men of the same French colonization who had enlisted in their ranks. But women have chosen to remain in the shadow until they departed; Eveline Lavalette, author of book "Algerian just ... like tissue", which would almost had the same fate, if she did'nt issue her book; in which she revealed her strong friendship with the Front.

In this context, our presentation of her book comes as a research attempt aimed at determining the causes and factors of the emergence of this relationship and the wonderful images that resulted from a struggle that was not exclusive to algerian men and women only.

Keywords: Memoirs, refraction, torture, Médea, prison.

مقدمة :

كان يجب الانتظار عشرات السنوات بعد الاستقلال لنسمع بوجود هذه المناضلة الفذة «إيفلين سفير لافاليت»، أي حتى تبلغ عقدها الثامن لتزيح لنا الستار عن وجودها من خلال كتابها السابق الذكر: « Juste algérienne ... comme une tissure »، الذي سنخصه بتقديم وجيز لاحقا؛ فهذا الكتاب ينشر أسرارها التي كانت سجينة طيات مذكراتها البالية وذاكرتها القوية؛ أسرار تتعلق بانخراطها في صفوف جبهة التحرير الوطني، ولقاءاتها بأبرز قادتها (كريم بلقاسم، العربي بن مهيدي، محمد الصديق بن يحيا، عبان رمضان و يوسف بن خدة) - وغيرهم الكثير- تغمدهم الله برحمته الواسعة؛ كما تتعلق بما قدمته من أعمال بطولية عرضتها للسجن والتعذيب، ودخولها قسم الأمراض العقلية بالمستشفى الجامعي مصطفى باشا.

وهذه الورقة البحثية النظرية أتت لرصد خلفيات هذه الصداقة المتينة -بالرغم من انتماء هذه المرأة لأبناء المستعمر الفرنسي نفسه- ، انطلاقا من التساؤلين التاليين: - هل للبيئة الريفية التي ترعرعت فيها السيدة إيفلين وما تتميز به من جمال ونقاء وهدوء أثر في تكوين شخصيتها الثائرة؟ - إلى أي مدى استاءت من عدم إنسانية المستعمر الفرنسي إزاء الجزائريين مقارنة بالفرنسيين؟

تقديم الكتاب:

الكتاب صدر باللغة الفرنسية، عن دار منشورات البرزخ التي تكفلت بطبعه ونشره في جوان 2013، في حجم متوسط (13x 21 سم) يضم 208 صفحة، ويتضمن بين طياته نصوص قصص صغيرة حول حياتها ونضالها؛ بعضها يعود إلى عام 1956، العام التي شرعت خلاله في الكتابة على كراس مدرسي اشترته من مطعم سجن الحراش الذي كان يسمى آنذاك « La Maison-Carrée» . وبعضها يعود إلى التسعينيات، وآخر ما خطته يداها كان في 2013 تحت عنوان: بمثابة نهاية « En guise de fin »، والذي تحدثت فيه عن علاقتها بزوجها عبد القادر سفير الذي ترك فراغا رهيبا في حياتها؛ وصفت فيه بعمق وبرقة يومياتها في السجن، ونضالها، كما وصفت أيضا سنوات الإرهاب في ولاية المدية أين كانت تقيم؛ فتلك الأحداث كانت تنام لسنوات طويلة في ذاكراتها، بعد أن علّقت بها رافضة أن تنمحي، واعتبرتها جزءا من حياتها داخل السجون. فالمسافة الزمنية تفيد أحيانا للكتابة بشكل أحسن وأعمق. ويفرض الكتاب نفسه أكثر من رواية أو سيرة ذاتية، كدليل لا يقبل الجدل على أن الجزائر هي أحد البلدان الفاتنة في العالم بفضل سحرها المرتبط بشرائح سرية شفافة لا يمكن لأحد عدها؛ على حد تعبير غنية موفق التي وضعت له تمهيدا في 12 صفحة.[1] فهذه الصحفية أثناء قيامها بتغطية إعلامية لحادثة إرهابية في المدية (مقتل طلبة ثانوية) عام 2000، زارت السيدة إيفلين في بيتها الجديد بالمدية، فقامت هذه الأخيرة بإخراج كراسها الذي اصفرت أوراقه من طول مدة النوم، الكراس الوحيد الذي عثرت عليه داخل إحدى علب الكرتون التي انتقلت من دار إلى دار؛ وأطلعتها على كتاباتها، فأعجبت بها كثيرا، ووصفتها على النحو التالي:

«..تلك النصوص كتبت بعينيها قبل أن تلامس صفحات الورق، خلال هدوء السجن. عينان مثل - جهاز فيديو خاص أو سلاح- تمسحان أروقة السجون، وغرفة التعذيب، وتسجلان الأصوات والروائح والتفاصيل، لتلصقها في الذاكرة. ذاكرة تقتات على كلمات أخرى

[1]- أنظر التعليق رقم 1 في آخر المقال

- مثل رائحة الأرض، لمسة الرياح، ولون العالم في الطرف الآخر خارج الأسوار أين يعيش من ما نزال نسميهم بجنس البشر- لتقاوم الخوف، فخ الوحدة، تدمير الذات».[1]

فطلبت منها نشرها لما لمسته فيها من جمال وعمق الكلمات بالرغم من بساطتها. وأجابتها إيفلين: «تبا، من بقي يهتم لذلك؟» [2]

ولكن وبعد إلحاح طويل منها تحقق طلبها تقول غنية موفق: كان يجب أن ننتظر 13 سنة كي تقبل إيفلين أخيرا بنشر كتاباتها.

حررت السيدة إيفلين مذكراتها- التي لم تفكر قط في نشرها لولا تشجيع تلك الصحفية- بأسلوب متميز يتسم برقة وبعمق وبجاذبية تأسر كل من يشرع في قراءته، لأنه نابع من القلب.. قلب أحب الجزائر وآمن بحق أبنائها في الحرية والكرامة. ولقد استعملت الضمير «هي» للتعبير عن نفسها، وتبرر ذلك بقولها: «قبل 1962 قلت هي، لأن هي كانت موضوعا عاما بالمعنى النحوي للكلمة وتميز توجها متجانسا تقريبا مثل صورة واحدة لذلك الوئام المعاش، أين كان كل الرفقاء والرفيقات ينتمون إلى جبهة التحرير الوطني. في 1962 هي أصبحت أنا؛ الدروب المهنية تنوعت، وكل واحد عليه بناء الجزائر التي حلم بها».[3]

وذات مرة عاتبت السيد عبد الحميد مهري -رحمه الله- على عدم كتابته لمذكراته، فأجابها قائلا: «تعلمين جيدا أننا لسنا جيل أنا »[4]

ولا يخلو الكتاب من نصوص هي مزيج من الشعر والنثر مركبة من كلمات بسيطة قوية المعنى، منها ما يفسر اختيارها لعنوانه:

«مثل نسيج يزيلة ومنسج خيوط متراصة، نقطة ثم نقطة مثل كرة صوف حين تسقط، تختلط خيوطها وتجري نحو زاوية حاولت أن أحيك بلا تكلف، فقط

---

[1] - Eveline, Safir Lavalette. (2013). **Juste algérienne, comme une tissure**. Alger: Editions Barzakh. 2013, p 11,12.
[2] - Ibid, p 10.
[3] - Ibid, p 139.
[4] - Ibid, p 21.

بمغزل ذاكرتي بالسنوات التي تقبل وتدبر ما كان وما هو الآن اعتمدت على كلمات بدون صبغة، ليست إطلاقا لا من حرير ولا من ديباج ؛ أو بالأحرى من قطن أو من صوف خالص.

عبارات مثل نسيج ما كتبته أو ما بقي سليما بذاكرتي أو ما نسيته، أو ما حذفته أو ما نفيته». [1]

التعريف بمؤلفة الكتاب:

هي إيفلين لافاليت « Eveline Lavalette » و التي صارت تلقب بـ « إيفلين سفيرلافاليت» بعد زواجها من الصحفي الجزائري سفير عبد القادر، ولدت بالعاصمة بشارع محمد الخامس، سليلة عائلة من الأقدام السوداء (الجيل الثالث)، جدتها لأمها ولدت بسور الغزلان في عام 1878 وماتت بعد بلوغها القرن وجداها لأبيها ولدا بالرغاية. قضت طفولتها وجزءا من شبابها اليافع بالرويبة، ترعرعت بين أحضان حقول الريف وسط عائلة بورجوازية مع أخويها (ادغار و كريستيان- Edgard et Christian) في بيت كبير بناه جدها لأبيها في قلب الأراضي الخصبة لمتيجة، التي استغلها في زراعة الكروم. بعد انسحاب الاستعمار الفرنسي من الجزائر، لم يغادر والدها الجزائر وفضل أن يقضي بقية أيام حياته إلى جانب ابنته، بالرغم من خسارته لأرضه التي تقدر مساحتها بـ 20 هكتارا تم تأميمها. أمها أليس ديسبو(Alice Despaux) ولدت عام 1889 وسط عائلة غنية تمتلك أراضي شاسعة جهة بني مراد، امرأة ماكثة بالبيت، كاثوليكية مطيعة؛ بين الكنيسة وأشغال المنزل كانت تلقن أبناءها قيم العمل، العائلة والوطن، محاولة بحرص على أن تحول ابنتها الوحيدة إلى عروس في المستقبل؛ ولكن لما صار لإيفلين بعض الخطاب المعجبين، كانت تخرج إليهم وهي ترتدي ملابس المهرج « حذاء مخطط، قميص منقط و تنورة استكلندية» و هذا حتى تنفرهم منها، و الأم لم تكن تعلم أن ابنتها تحضر نفسها لقدر آخر: « أردت أن أفعل شيئا بحياتي». وفعلا فعلته .[2]

[1] - Ibid, p 31.
[2] - Ibid, p 12,13.

في سنتها العاشرة دخلت ثانوية وريدة مداد، لتصبح معلمة في المدرسة الابتدائية الخاصة للأخوات المسيحيات أسفل القصبة عام 1948، ثم رئيسة لإحدى فصائل الحركة الكشافة النسوية الكاثوليكية بالرويبة، ثم سرعان ما تحولت إلى إحدى قائدات هذه الحركة على المستوى الوطني والتي كانت تنشئ النساء على تمجيد دورهن التقليدي كأمهات وزوجات، إلا أن إيفلين اقترحت آنذاك بألا يستقرين في منطقتهن الخاصة وبأن يشاركن في الحياة العامة، السياسية منها والمدنية.

من ثورة العقل إلى ثورة التحرير:

العديد من المحطات في حياتها منذ طفولتها وحتى مراحل شبابها، كانت تنبئ بأنها أنثى مميزة.. بأنها إبنة حقيقية للجزائر، فلقد تعلقت بأرضها الطيبة التي لم تبخل عليها بخيراتها، وأحبت حقولها وأهاليها، علاقة أثمرت عن مواقف شجاعة وبطولية في أوقات لاحقة. فهي لم تكن طفلة عادية كأترابها من البنات، فالبرغم من صغر سنها كانت مستاءة من أمور تحيط بها وأخرى تحدث لها. فبنظراتها الثاقبة كانت تفحص ما يدور حولها في ذلك البيت البورجوازي وخارجه، خلف نوافذه الكبيرة؛ تقول إيفلين: « ربما لأنني كبرت في ذلك النقاء المطلق الذي أسميه الريف الحقيقي، صدمني بسرعة ذلك العالم الذي أحاط بي، صدمني بانكساراته، بأجزائه. ما كنت أراه بعيني طفلة كان بلدا غريبا، بلد غريب دون أن أستوعب بأن النظام الاستعماري هو من عجنه، ولم أكتشفه لاحقا إلا وأنا شابة راشدة ولم أشك في أنه الظلم بعينه حتى ذلك الحين».[1]

كانت كلما فتحت نافذتَي غرفتها، وتأملت شساعة حقل الكروم، وبعض التلال البعيدة عنه وحديقة البيت والسكة الحديدية، تقف على مثل هذا الواقع المهم بالنسبة إليها: «كان هناك ما يشبه انكسار بين النافذتين، إحداهما تطل على حقول مزروعة...مع كل فصولها ..وكنت أرى رجالا يعملون قليلا وكأنهم ممثلين على خشبة مسرح، غير حقيقيين وغير مرئيين لم ألتقيهم أبدا، كانوا بعيدين ومنحنيي الأجسام بسبب الانهماك في العمل. النافذة الأخرى تطل على فناء تغطيه سقوف حمراء، وأسفلها توجد حديقة نصفها أزهار

[1] - Ibid, p 33.

ونصفها الآخر خضر وفواكه، يفصلها سياج حديدي عن سكة القطار؛ وهناك يوجد رجال حقيقيون، عمال يقومون بتوسيع سكة الحديد.

هؤلاء العمال أقاموا قريبا من محيط الحديقة، ينامون داخل خيمة، ونحن الأطفال كنا نعجب بهم وهم يطبخون على نار من حطب.. رائحة متبلة بالفلفل وطعام فقير. كنا نعطيهم الماء وكانوا يطلبون منا أن نتذوق شوربتهم أوقطعة من بطاطا». وتتوصل إلى تأكيد وجود هذا الاختلاف الشاسع بينها وبينهم، فتقول: «إنهما نمطان من العيش: هم: نار من حطب، بعض اللترات من الماء في إناء متورم، خيمة أنا: مطبخ مجهز، غرفة لغسيل ملابس العائلة، منزل. هؤلاء العمال لم يكونوا بعيدين، مثل الآخرين الذين رأيتهم من النافذة الأخرى. لا أحد يكلمهم، لقد كانوا أيضا غير مرئيين ». [1] واقع مشبع بالظلم والاضطهاد صادفته أينما كانت؛ حول محيط المنزل، تحت سقف المدرسة، وفي كل مكان؛ واقع لم تكن لتوافق عليه يوما، أو تستمر في العيش فيه غير مبالية.

ذات مرة في المدرسة طلبت منها معلمتها من خلال فرض منزلي وصف تجارة في القرية، ولم تحصل على علامة جيدة، كونها وصفت مقهى مغاربيا باعتباره التجارة الوحيدة التي كانت تلاحظها كلما مرت أمامه، فأنواع التجارة الأخرى كانت بعيدة عن طريقها إلى المدرسة.

تقول إيفلين: «في قلب المقهى توجد مواقد الجمر، أباريق الشاي وأباريق القهوة بذراع طويلة، ونادلون بسراويل بيضاء وصدريات حمراء أو سوداء اللون مطرزة، وقبعات جميلة (شاشيات) فوق رؤوسهم، وزبائن ذوو هيبة ببرانيسهم البنية والبيضاء». ولما احتجت على ذلك التقييم المجحف كون ما وصفته يعد تجارة، أجابتها المعلمة: «ولكنهم عرب! إنها تجارة عربية وهم لا يتحدثون الفرنسية».

تضيف إيفلين: «لم أفهم، البقالة الإسبانية تتحدث الإسبانية مع معظم زبائنها، الجزار الألزاسي يتحدث لهجة موطنه مع زوجته المكلفة بصندوق الصرف، وتاجر الخردوات يتكلم لغته الايطالية. في الواقع كانوا يلقونني اللامبالاة». [2]

[1] - Ibid, p 35-37.
[2] - Ibid, p 38.

نشاطها الكشفي: الجزائر ليست فرنسا!

انخراطها في صفوف الكشافة فتح أمامها مجالا آخر لعبور مسافات طويلة داخل الجزائر وخارجها. فقد زارت فرنسا ثلاث مرات عام 1956، لأجل تجمع كشفي هناك خلال المرة الأولى، وتخييم كشفي في الجبال خلال المرات اللاحقة، إلا أنها لم تشعر قط بانتمائها إليها بحكم جذورها الفرنسية. كما ساهمت في تنظيم رحلات طويلة في الجنوب الجزائري، في بني عباس، وحاولت أن تشرح للفتيات الكاثولكيات بأن الجزائر ليست فرنسا؛ ووصف موقفها بالراديكالي حتى أن هناك من اعتقد باحتمال وجود ميل لديها للزواج من مسلم. وكان ذلك صحيحا. توظفت في الفيدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين، وتمرنت على العمل النقابي لسنوات ثم غادرت «حين لا يعجبني شيئ اتخلى عنه» قالت. في 1954 وخلال الزلزال الذي ضرب بقوة مدينة «أورليانس فيل» -الأصنام سابقا والشلف حاليا-شاركت من خلال نشاطها في الكشافة في عمليات الإغاثة. وهناك لاحظت التميز العنصري؛ تقول إيفلين : «لاحظت ظروف معيشة أهالي الريف وفقر المساعدات المقدمة إليهم مقارنة بتلك التي قدمت للسكان الأوروبيين »[1]

الالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني:

لقد اتسم النظام الاستعماري بالظلم والعنف والعنصرية والابتعاد عن القيم الإنسانية. وكل هذه الممارسات كانت الواقع المعاش من طرف الأهالي في المدرسة كما في العمل، مما دفع العديد من الأوروبيين - من بينهم السيدة إيفلين- إلى جانب جزائريين على اختلاف انتماءاتهم الدينية إلى التجمع في جمعيات كانت تسعى لتحسين أوضاع الجزائريين المحرومين؛ إذ برزت في 1951 جمعية شبانية تضم مسلمين وكاثوليكيين وبروتستانت، ويهود، وعلمانيين، هدفها تربية الشباب برؤية حقيقية للجزائر آنذاك، تسمى بجمعية الشباب الجزائري من أجل الحركة الاجتماعية (AJAAS). كانت إيفلين عضوا فاعلا فيها. وهناك تعرفت على مسؤولين وأعضاء كل الحركات: الكشافة، الطلاب، العمال، المثقفين، أين تمت مناقشة المشاكل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية اليومية للشباب، والتقت

[1] - Ibid, p 40.

بالشهيد محمد دراريني الذي عرفها على بن يوسف بن خدة قبل أن يجندها في صفوف الجبهة، عملت معه في تلك الجمعية، كما اكتشفت مجال الوطنيين مع صالح لوانشي، عبد الحميد مهري، محفوظ قداش[1]، وآخرين والذين كانوا متلازمين وأصدروا مجلة «ضمائر مغاربية » أو « Consciences Maghrébines »، لفضح ظلم الاستعمار الفرنسي، وهي مجلة الجمعية وكانت شبه سرية؛ ظهر أول عدد منها خلال 8 شهور التي سبقت اندلاع الثورة، وساهمت في طبعها وتوزيعها. تقول ايفلين: «كنا نحن الإثنان المسؤولان عن جمع مادة المجلة، كان ذلك خط إتحادي ببن يوسف بن خدة والجبهة»[2] من الرويبة إلى أورليانس فيل، مخيمات كشفية في الجزائر وفي فرنسا، إلى جمعية الشباب من أجل الحركة الاجتماعية، من القصبة إلى الكشافة الجزائرية الإسلامية، اتضحت قصة القومية الجزائرية في وعيها: «اكتشفت شيئا فشيئا، ببطء ولكن بعمق وجود النظام الاستعماري...قرأت إعلان أول نوفمبر وتبنيته».[3]

لقد كانت تتمتع بشجاعة وجرأة نادرتين، لم تتركا لشعور الخوف أية مساحة في قلبها، فلم تذخر أي جهد لدفع قضية النضال إلى الأمام. فتحملت مسؤولية مهام أشبه بقنابل موقوتة قد تنفجر ضدها في أية لحظة لكنها لم تبال.

مهام أشبه بقنابل موقوتة:

في 1955 بعد اندلاع الثورة، التحقت بصفوف جبهة التحرير الوطني، ووظفت كعون ربط، مهمتها الصعبة تمثلت في: طبع المنشورات، نقل العتاد، توصيل الطرود، وإيواء مجاهدين طول صيف عام 1956 كان من بينهم العقيدين أوعمران، والصادق (سليمان دهيليس)، كريم بلقاسم، بي مهيدي، محمد الصديق بن يحيا، عبان رمضان ويوسف بن خدة، ببيتها بشارع داغير« Rue Daguerre » الذي كانت تتقاسمه مع صديقتها دونيس بلا

[1]- أنظر التعليق رقم 02 في آخر المقال.

[2] - Ibid, p 40.

[3] - Ibid, p 41.

Denise Pla »؛ تروي إيفلين تلك الذكريات قائلة: في نهاية عام 1955 بدأت أنشط لصالح الجبهة عن طريق يوسف بن خدة الذي لقنها هذه العبارة: « كلما عرفت أقل تكلمت أقل» كانت تسميه جوزيف وتجهل اسمه ودوره السياسي الكبير على مستوى لجنة التنسيق والتنفيذ. [1] كانت أشبه بوكالة عقارية في خدمة الثورة المسلحة - على حد تعبير الصحفية غنية موفق- «أويت بن مهيدي مرارا ولوقت طويل، كان طيبا ولطيفا جدا... كان يسألني عن الحياة خارجا وكيف يتفاعل الناس مع الثورة، لم أكن أعرف هويته. لا نتكلم قط عن أنفسنا». [2]

- في 1956 كان لها الشرف في طبع أول عدد لجريدة المجاهد التي كانت سرية آنذاك وكانت لسان جبهة التحرير الوطني، كتبت على الآلة الراقنة لنفس الجريدة:
- وثيقة سميكة حول ميثاق الصومام
- دعوة الطلاب لشن إضراب فيفري 1956
- رسالة أحمد زبانا إلى والديه قبل تنفيذ عملية إعدامه في جوان 1956 ولها ما تخبرنا به عن هذه الآلة التي تحولت إلى تحفة تاريخية ترقد بجوار غيرها من التحف بمعرض جمعية المحكوم عليهم بالإعدام، إذ تسترجع صوت رنينها الذي تشبهه بخفقات القلب: «وسط كل علب الكرتون، والحقائب، وقطع الأثاث المكدسة، توجد قفة بداخلها آلة رقن صغيرة ليست مغطاة كليا...غرض وحيد في صرة غريبة». تتوقف عن ترتيب أغراضها، دائما و في اللحظات غير المتوقعة، يخفق هذا القلب ببطء، اليوم نبضاته بلا صوت، نبضات الذكريات. في 1956، دون شك يوم 18 ماي وفي وقت متأخر من الليل، أقبل مسرعا وفي استعجال، أمرَها بأن تكتب نصا على الورق المشمع (stencil)، ليتم سحبه بمكان آخر. ذلك النص لا يمكنها نسيانه: إنه دعوة الطلاب إلى الإضراب يوم 19 ماي 1956، ملحمة عاشها الحشد الكبير لطلاب الثانويات والجامعات، والتحاقهم بالمقاومة، أو انخراطهم في العمل السري، في الحال أو في الأيام اللاحقة.

[1] - Ibid, p 43.
[2] - Ibid, p 18.

وتتذكر أيضا حين طلب منها على عجلة أيضا كتابة رسالة إلى عائلة الشهيد أحمد زبانة: قرأ عليها أولا الرسالة التي وجهها زبانة إلى والديه، آخر رسالة منح له الحق في كتابتها حين زُف إليه خبر لحظة إعدامه بالمقصلة.

وتتذكر ارتكابها خطأ في رقن العنوان الذي سيرد في كل المناشير، بإضافتها لـ «أل » التعريف إلى كلمة التحرير (front de la libération) وكان من الصعب تصحيح ثقوب الحروف على الورق المشمع، بدون ذلك السائل السحري المصحح، الذي يسد تلك الثقوب الصغيرة. كانت المرة الوحيدة التي اضطربت فيها، بسبب الاستعجال؛ لذا كتبت تلك الرسالة مرتين.[1]

يوم إلقاء القبض عليها: نعم أنا مع الجبهة.

تم إلقاء القبض عليها يوم 13 نوفمبر 1956 في وهران عن طريق فريق من الشرطة والجيش، بعد أن لاحظها أحد الشرطيين - الذي كان يحمل معه صورتها- وهي تهبط من القطار القادم من محطة الجزائر العاصمة. كل عناصر سلسلة وهران التي كانت على اتصال بها زج بها في السجن (دونيس بلا، زوليخة بن قدور، جاكلين أورينغو؛ هذه الأخيرة كانت همزة وصل بينها وبين دونيس بلا ولكن لم تكن منخرطة، لقد خدمتها باسم الزمالة.

لقد أرادت الشرطة الاستعمارية أن تعرف أين يختفي الحاج بن علا قائد الولاية الخامسة. وخلال المحاكمة التي كانت تسميها الصحافة الفرنسية بمحاكمة المثقفين، اعترفت قائلة: «نعم أنا من الجبهة، نعم أنا مع استقلال الجزائر». واتهمت بالقوادة، الكلمة التي لم تستوعبها وأغضبت محاميتها ستيب «Stibbe » التي عينتها الجبهة للدفاع عنها. بعد عودتها إلى سجن وهران سألت زميلاتها هناك عن معنى الكلمة فلم تعرفنها، إحداهن ابنة طبيب معروف سجنت لانتمائها الشيوعي كانت تحمل قاموسا. تقول ايفلين: «الآن صرت أعرف ماذا تعنيه تلك الكلمة. لقد أرادوا أن

[1]- قصة آلة رقن، أوت 1998.Eveline Safir Lavalette,IOp.cit, p188,189

يثبتوا بأن الجبهة جندتنا لنمارس الدعارة[1] وحكم عليها بثلاث سنوات سجنا نافذا؛ أقامت بسجن وهران من 1956 الى 1957 ثم نقلت إلى سجن الشلف العسكري، وأخيرا إلى سجن الحراش، لتحصل على حريتها في أوت 1959 بعد عفو رئاسي عام.

جحيم اسمه السجن:

كغيرها من السجينات حملت رقما وكان هذا الرقم هو «3590» وأضافت إليه كلمة أميرة بالفرنسية «حتى لا يبقى أشبه بلوحة ترقيم سيارة». تقول ايفلين في طرافة.[2]

ولم تكن هناك وحدها من قدمت حريتها، روحها وجسمها النحيل قربانا للجزائر، فقد التقت من سجن إلى آخر بأروع ما أنجبت الجزائر من نساء؛ ففي سجن وهران التقت بكل من: زوليخة و زهور بن قدور، حمامة بن علا، سليمة الحفاف، أمينة زعنان، ماما، غابي جمينيز «Gaby Gimenez »، فيفين كرمونة«Fifine Carmouna»، باتون مارتيني«Paton Martini»، ريموند إراهدة «Raymonde Errahda»، جاكلين أورينغو«Jacqueline Orengo»وبلانش موان «Blanche Moine». وبسجن الحراش التقت بكل من : ممرضات الميدان [مريم بلميهوب، صفية بازي، نسيمة حبلال، فاطمة بن عثمان وآني ستاينر«Annie Steiner»]. وبنات معركة الجزائر [جاكلين قروج « Jacqueline Guerroudj» وجميلة بوعزة –حكم عليها بالإعدام-، بالإضافة إلى زوليخة بن قدور، زعنان أمينة اللتين ذكرتا سابقا]، وجميلة بوحيرد التي حكم عليها بالإعدام، فضيلة مسيلي، جميلة عمران، زهرة ظريف (حكم عليها بـ 20 سنة سجنا نافذا)، فطومة أوزقان، مليكة قريش، باية خلوي، باية حسين، فطومة قيوان، فطومة مزيان، نفيسة حمود، مريم بوباكير، حنيفة عبد العظيم، لويزة ومليكة إيغيل عزيز، وميلاني تبون «Mélanie Tabon».

[1] - Ibid, p 20.
[2] - Ibid, p 64.

وبسجن الشلف التقت بالمناضلة الطاوس.[1] وتحملت قساوة الحرمان من الحرية وقساوة الحرمان من عائلتها التي قاطعتها ببرودة. وتعلمت بين جدران كل سجن الصمت الذي منحها القدرة على اكتشاف ذاتها، والتعبير عن خلجاتها، وعما يحيط بها من قهر وظلم فاقتنت كراسا صغيرا من مطعم السجن – كما سبق وأن ذكرنا ذلك- وراحت تسجل خواطرها التي تأرجحت بين الشعر والنثر. كتبت عن معاناتها وعن معاناة السجينات والمناضلات في كل سجن أقامت فيه، واللواتي أشارت إليهن بجمع ضمير المؤنث «هن» ولقبتهن بسجينات القانون العام « droit commun » كيف يقضين مدة طويلة داخل زنزاناتهن (16 ساعة)، ثم يغادرنها إجباريا إلى فناء السجن، يمشين في صفوف وفي صمت. و«خلال أيام الشتاء يجلسن في صالة على كراسي طويلة بدون مسند وبعيدة عن الجدران مما أدى إلى تقوس ظهورهن، ثم قلوبهن ثم عقولهن، كيف لهن أن يستثنين السياسة من ذاكراتهن؟» تتساءل إيفلين.[2]

وتحدثت عن أكبر عدو لهن هناك: «العدو القاتل هو البرد السبيري الأورليونسفيلي، الساكن في عظامهن التي يستحيل تدفئتها، خاصة أثناء الليل. أقدم سجينة حاولت الانتحار شنقا، إلا أن حزامها كان قصيرا ليبلغ القضيب العرضي للباب».[3]

وهذه بعض الخواطر عن يومياتها هناك التي تبين مدى تفاعلها مع الثورة ومناضليها وشوقها إلى الاستقلال: «لا يوجد ماهو بسخيف في هذه القصة، لأن حياتنا كانت ذلك التضامن الحار والمرح، إذا كانت هناك أيام مأسوية- عمليات مداهمات، عمليات إعدام- وإذا كان عدد منا معيلا لأطفال أو لأبوين، فإن كل تلك

---

[1] - Ibid, p 29, 30.

[2] - هن: سجينات القانون العام، 1957 السجن المركزي). (Eveline Safir Lavalette,Op. Cit, p 81)

[3]- سجن الشلف 1957- 1958 و بضعة أسطر في 2010 (Eveline Safir Lavalette,Op. Cit, p 91)

المناسبات- ورغم كل شيء- هي حجة لإدخال الفرحة إلى القلب والروح، ولإطلاق ضحكات مجنونة بلا نهاية، لأننا كنا نمثل الحياة، الأمل والحرية... في السجن لا توجد مشاكل عائلية أو اجتماعية: كنا جماعة من النساء نحمل نفس الحب لبلدنا ولأن كل واحدة منا هي قطعة منه، كنا نتعاطف كثيرا فيما بيننا ونحرص على بعضنا البعض. نتقاسم كل شيء: نتفرج مع بعض على صور عائلاتنا، نقرأ مع بعض الرسائل التي كنا نتلقاها، نتقاسم قفة الطعام التي تتلقاها المسجونات اللواتي لم يحاكمن بعد. كانت لدينا إرادة من حديد: كل شيء نتقاسمه، رغم اختلافاتنا ولكننا متحدات بنفس الهدف ونفس الاختيار للمستقبل». [1]

التعذيب:

يعتبر التعذيب أحد الوسائل اللامشروعة التي تستعمل ضد الأسرى بهدف افتكاك بعض المعلومات منهم، بالرغم من أن التشريعات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية جرمته، فقد نصت إحدى اتفاقيات جنيف الأربعة الخاصة بالأسرى لعام 1949 على نظام يحمي هذه الفئة من الأسرى، إذ جاء في المادة 13 منها على أنه: « يجب أن يعامل أسرى الحرب في جميع الأوقات معاملة إنسانية ».[2] فقد قننت قواعد لحماية الأسرى والمرضى والجرحى والسكان المدنيين أثناء الحرب، والتي اعتبرت جميعها أن مخالفة أي حكم من أحكامها يعد جريمة حرب. وأدرجت تلك القواعد في إطار ما صار يعرف بالقانون الدولي الجنائي الذي يجرم كل ما من شأنه أن يحط بكرامة الإنسان كالتعذيب والمعاملة السيئة والاعتداء على المدنيين فيما يسمى بجرائم الحرب .

وفنون التعذيب التي جند لها خبراء من الحرب العالمية الثانية والحرب الهندية-الصينية، والتي مورست ضد الأسرى الجزائريين ومن الجنسين تفوق الوصف

---

[1] - مذكرات من سجن وهران 1956- 1957 Eveline Safir Lavalette,Op. Cit, p 91

[2] – العادلي، محمود صالح، (2003). **الجريمة الدولية- دراسة مقارنة**، الاسكندرية: دار الفكر الجامعي. ص 65.

وتقشعر لها النفوس، خاصة لما يتعلق الأمر بالنساء. إذ لا يخفى على أحد بشاعة التعذيب الذي تعرضت له جميلة بوحيرد وجميلة بوباشا. (على سبيل الذكر). لقد عذبت إيفلين، وأشارت إلى ذلك في كتاباتها دون أن تعطي أية تفاصيل تذكر، كما أنها لم تتحدث قط في هذا الموضوع حتى إلى أقرب الصديقات والأصدقاء، بمن فيهم الصحفية غنية موفق. وجعلت منه أحد أسرارها التي أخذتها معها إلى الطرف الآخر من هذا العالم. « لا نتحدث في هذا الموضوع ». قالت إيفلين.[1] وتضيف: «لا نتحدث عن نشاطاتنا السرية، عن مآسينا وعن التعذيب ولا نطرح الأسئلة ولكن نعرف عن طريق الآثار على الجسم، على الوجه، وحتى في الأعين بأن فلانة تم تعذيبها، وبأن تلك تم القبض عليها في الميدان». وأثناء التعذيب كانت تردد أشعار les Fables de la Fontaine»[2] وأشعار حرب طروادة (la guerre de la Troie)، وأي شيء حتى تحافظ على إنسانيتها كحاجز ضد الحيوان الذي أرادوا تحويلها اليه. «هي ليست وحدها معركة بدأت، ستكون طويلة، لأربع أو خمسة أشهر وأكثر، يمكنهم سلخ جلدها، تقطيع يديها، وربما أحيانا روحها ولكن لن يقدروا أبدا على سلبها قلبها. تشعر بأنهم خجلون، هؤلاء الرجال العراض، الضخام والأقوياء، الذين يصرخون ليتكلموا ويشتمون ليجيبوا...هم أقوياء اليوم، ولكنهم يعلمون بأنهم خسروا، وبأنها ليست هي من يواجهون».[3] و على هذا النحو المريع كانت تسحب نحو غرفة التعذيب: «كانوا اثنان كانوا ثلاثة كانوا ستة انهضي، ارتدي ملابسك واتبعينا، السير طويل في أروقة السجن،...ذلك الرشاش المخيف مثل سبابة، بل أقسى من ذلك، سبابة هي سيدة الحياة والموت سيري واتبعينا.... إنه السير نحو المجهول حين نكون أحرار تلك هي العطلة: الذهاب في مغامرات، إلى أي مكان، إلى حقل، إلى درب طويل ضيق يقطع الكروم؛ أو إلى صخور شاطئ البحر حين لا نكون أحرارا ربما ينتهي بنا السير نحو المجهول إلى غرفة الشرطة، ربما نحو

[1] - Eveline Safir Lavalette,Op. Cit, p 20

[2] - (انظر التعليق رقم 03 في آخر المقال)

[3] - أورليانس فيل، 1957- 1958. Eveline Safir Lavalette,Op. Cit, p 87

التحقيق مجددا لساعة أو ساعتين أو طيلة النهار الماء، المغطس، البكرة التي تعلق، الشتائم التي تسيل كاللعاب، والكهرباء حين لا نكون أحرار، السير نحو المجهول قد يعني موت شخص نعرفه تحت التعذيب».[1] لقد ذكرت المغطس أو الحوض، والكهرباء والشتائم التي يندى لها الجبين، وتلك أشهر عناصر هذه الجريمة. وسنذكر في هذا المقام بعض التفاصيل عن كيفية استعمال تلك الوسائل في استنطاق الضحايا.[2] ولم تنج من هذا الجحيم إلا بعد أن تم إلقاء القبض على الحاج بن علا عام 1957 رفقة ياسف سعدي، والذي لم يطلق سراحه إلا عام 1962.[3] ولقد ارتفعت أصوات عديدة للاحتجاج ضد التعذيب آنذاك حتى من طرف الفرنسيين أنفسهم وكانت النتيجة أن أمرت الحكومة الفرنسية بالتحقيق في الأمر.

ولقد تحدثت إيفلين عن زيارة لجنة تحقيق برلمانية فرنسية للسجن الذي كانت نزيلة به عام 1956، إلا أنها وككل مرة تتفادى بفضح ما مورس في حقها من تعذيب، واكتفت بوصف مظهر أعضاء تلك اللجنة الذين شبهتهم بجدار مظلم، وهم يرتدون بذلات مكوية جيدا وما يناسبها من ربطات عنق ومحافظ، جالسين على أرائك مريحة في قاعة مفروشة بسجاد من قطيفة: «كانوا هناك قدموا من كوكب آخر بوجوه جادة، رسمية، مغلقة. تطفو في الهواء رائحة لعطر خفيف لشدة نظافتهم، ... وهي التي تنقل عفونة الجافيل والكريزيل و الرطوبة. وبالرغم من هدوئها الظاهر كانت تشعر بخفقان قلبها. وكل شيء سيعيد نفسه؛ كانت متأكدة لو استمع إليها رجال تلك اللجنة، فإنهم لن يقدروا على الاستيعاب. بصعوبة رفعت يدها لأداء القسم بقول الحقيقة، وتوالت الأسئلة حول هويتها، إلقاء القبض عليها، التحقيق، وحتى عن هواياتها.

---

[1]- أورليانس فيل، 1957- 1958. Eveline Safir Lavalette,Op. Cit, p 85, 86.

[2]- (انظر التعليق رقم 04 في آخر المقال).

[3]- توفي هذا المجاهد عام 2009

ولم يردها أي جديد من طرف تلك اللجنة بعد كل ما أدلت به.[1] وكإضافة فقد قامت بعثة الصليب الأحمر الدولي بزيارة إلى بعض المحتشدات والسجون بالجزائر بين شهري أكتوبر ونوفمبر 1959، وكتبت تقريرا مفصلا في 70 صفحة - فضحت فيه أساليب المستعمر الفرنسي في معاملة المساجين- أثار ضجة في العالم.[2] ولقد صار المستشفى الجزائري مكان لقاء ولو بالصدفة للعديد من المجاهدات ضحايا جريمة التعذيب، وهي إحداهن: «اليوم الناجيات منهن يمكن أن نصادفهن في أروقة المستشفيات، يعالجن جروح أجسامهن، وليس على الأقل بأروقة تعترف بفضائلهن، إنهن ينتظرن دورهن، لنضال آخر، في صمت آخر، ضد الشيخوخة التي تهاجمهن. إنهن منهكات، ويرفضن اليوم الحديث عن هذا، كما بالأمس» .[3]

من السجن إلى المستشفى:

كان ذلك في عام 1959 بعد إضرابها عن الطعام وإصابتها بمرض السل، وو جدت نفسها على هذه الحال بقسم الأمراض العقلية بمستشفى مصطفى باشا الجامعي والتي تسميها بمصلحة المجنونات الخطيرات: «تستفيقين داخل زنزانة مجهولة، الذراعان مغروزتان بالإبر، موصولتان بأكياس مصل،..باب موصدة تشبه باب الزنزانة، كوة في أعلى الحائط مسيجة بقضبان الحديد والأسلاك. يظهر مئزر أبيض يفصل كل تلك الترسانة، وبإجابته عن سؤالك، يجبرك على التأرجح في كون جديد: لا تشعرين بالجنون، فقط بتعب كبير..بعد إضراب عن الطعام، الإصابة بالسل». بعد استعادتها لوعيها وتناولها لوجبة، كانت بالنسبة لها عجبا من العجائب، زارها البروفيسور سوتر- Sutter (المئزر الأبيض) - كما لقبته- ووصف لها هذا العلاج :

- «21 صدمة كهربائية
- دواء طبي لمريضة عقليا خطيرة

---

[1]- لجنة تحقيق برلمانية فرنسية حول التعذيب: من 1956 (وهران) إلى 1995 (باريس Eveline) Safir Lavalette,Op. Cit, p 59,60

[2]- إدريس سهيل، إدريس عايدة، 1960: 60.

[3] - (Eveline Safir Lavalette,Op. Cit, p 21)

- حمام يومي داخل القميص الجبري - قميص المجانين- (ترتدينه بنفسك تحت أعين حارستين و ممرضة)، وتسكنين مع هذا العلاج والمجنونات الحقيقيات الأخريات ونتعودين على كل شيء». قالت إيفلين.[1] وتضيف في خاتمة تلك التجربة: «وبما أنك لم تكوني مجنونة، وجدتُ مصممة على إبقاء رأسك مربعة، قاومت تشخيص البروفيسور سوتر. ...ولتعش كل الرؤوس المربعة!».

لقد طلبت من صديق طبيب كلف بتسوية وثائقها كمجاهدة في صفوف الجبهة، بتضمين ملفها ما عانته بذلك المستشفى ففاجأها بإجابة غير متوقعة قائلا: حسنا، لن نضيف ذلك، لن يصدقك أحد، كما أن هذا الأمر لن يخدمك، وسينظر إليك كمجنونة ولن تجدي عملا. «لن يصدقوك!.. الأمر خطير جدا... نحن لم نعد من جيل أنا... إنه الماضي» علقت إيفلين في أسف وألم شديدين.[2]

الإفراج:

بناء على عفو رئاسي كما ذكرت سابقا، استفادت إيفلين من الإفراج، وأطلق سراحها في شهر أوت 1959، وفي الشهر الموالي تركت الجزائر نحو فرنسا بفضل صديقة مقربة دبرت لها منصب عمل كمعلمة بمدرسة ابتدائية بضواحي باريس. هناك تقول بأنها عثرت على مجتمع فرنسي مسالم في غالبيته، يرفض منطق الحرب ويدعو إلى السلم. حتى أنها عثرت على كتابات حائطية تعود إلى الأربعينيات تدعو إلى وقف الحرب في فيتنام . وبعد فترة وجيزة من إقامتها هناك، انتقلت إيفلين إلى مقر جبهة التحرير الوطني بتونس، حيث استقبلها قادة الثورة كبطلة وبحفاوة كبيرة. وعملت هناك لمدة شهر بدار اليتيمات الصغيرات بسيدي بوسعيد كمنشطة، مدرسة وطباخة. وفي نهاية أكتوبر 1960، عثرت عليها منظمة اليد الحمراء.[3] فقامت الجبهة بتهريبها إلى جنيف أين حضرت دبلوما في

---

[1]- رأس مربعة: مستشفى مصطفى باشا 1959- المدية 2006 .(Eveline Safir Lavalette,Op. Cit, p 98, 99)

[2] - Ibid, p 21.

[3]- انظر التعليق رقم 05 في آخر المقال.

بيداغوجيا المقارنة بمعهد علوم التربية، ودون أن تتقاعس عن نشاطها كمناضلة دائمة في الهلال الأحمر الجزائري، ومهمات ربط في جنيف و روما.

بعد الاستقلال:

رفضت السيدة إيفلين الرحيل مع الأقدام السوداء، وفضّلت البقاء في الجزائر، إلى جانب بعض الأصدقاء والصديقات الذين فضلوا الجزائر مثلها، على غرار عائلة «شولي» التي ربطتها بها صداقة متينة. كما ربطتها أواصر صداقة مع عائلات جزائرية أخرى. ومارست حياتها في ظل الحرية على النحو التالي:

- في 1962 تم انتخابها في المجلس التأسيسي ثم في أول مجلس وطني في 1964، أين ساهمت في بحث ووضع النظام التربوي.
- في 1967 تزوجت أحد أعمدة الصحافة الجزائرية الصحفي سفير عبد القادر، وأنجبت منه بنتين لم تذكر أية معلومات عنهما بما في ذلك الأسماء. وأقامت في منزل على هضبة صغيرة ناحية "بن شيكاو» بولاية المدية، أين قضت سنوات طويلة رفقة زوجها، الذي كان يكتب من هناك مقالاته في التسعينيات، ويعطيها تسمية "رسائل بن شيكاو"، التي أعادته للكتابة الصحفية بعد أن انقطع عنها لسنوات طويلة. وبعد وفاته يوم 13 جانفي 1993 تخلت عن هذا البيت الذي سكنه فراغ رهيب كما سكن قلبها، فنزحت نحو المدينة.
- ومنذ وفاته وهي تقاسي آلام الوحدة وتعيش على وقع الذكريات. تقول عنه: «كان بالنسبة لي أكثر من نفسي أظن أنه يقاسمنى قوة هذا الشعور».[1]
- في 1968 شغلت مناصب عدة بوزارة العمل وفي عام 1977 ومع تأسيس لامركزية الضمان الاجتماعي ترقت إلى منصب رئيسة مشروع لولايتي المدية وتيارت، ثم مديرة الشؤون الاجتماعية بالمدية حتى تاريخ تقاعدها.

وكانت سنوات التسعينيات صعبة وقاسية عليها، لكون البلاد دخلت في دوامة العنف والتطرف الأعمى. وتصفها قائلة: «كان يجب الحذر حتى من الجار». فاضطرت إلى

[1] - Eveline Safir Lavalette,Op. Cit, p 33

الرحيل إلى فرنسا خوفا من الموت التي هددت بها أسرتها، فهجرت ابنتاها الجزائر، الكبرى إلى كندا والصغرى إلى باريس. واستقرت في «أفينيون» إلى غاية سنة 1997، لتعود مجددا إلى الجزائر، وتعود إلى المدية، لكن ليس في «بن شيكاو»، بل في منزل آخر، في قلب المدينة بعد أربع سنوات من الإيواء لدى المخلصين من أصدقائها.

وكان للقاءاتها مع بعض رفقاء ورفيقات الجهاد – دون أن تذكر الأسماء- بعض السند المعنوي لها في حياتها، تقول إيفلين: « لقاءاتي مع إخواني وأخواتي في النضال، سواء كانوا في مثل مرتبتي، أو مسؤولين قياديين، أثرت في حياتي بعمق» .[1] خلال السنوات الأخيرة انشغلت بإعداد مذكراتها، وكأنها كانت على موعد مع الموت، فأخذت قرارها النهائي بنشرها وإهدائها لنا.. وللجزائر خلال شهر جوان 2013. وافتها المنية يوم 25 أفريل 2014 لأسباب صحية ودفنت بالمقبرة المسيحية بديار السعادة بالعاصمة .[2]

خاتمة:

نستنتج من العرض السابق أن السيدة إيفلين لافاليت لم تكن أنثى نمطية، فهي لم تساير تطلعات أسرتها بالزواج إنجاب أطفال مثل والدتها، ولم تستوعب منطق اللامبالاة. وهي طفلة صدمت بأشكال التمييز التعسفي بين واقع بني جلدتها والجزائريين، وسط فضاء ريفي خلاب، «قلب الأراضي الخصبة لمتيجة» الذي غرس في نفسها قدرا من جماله وجعلها تعي الفرق بين الخطأ والصواب، بين الظلم والعدل؛ إلى أن أدركت في مرحلة شبابها بأن الاستعمار الفرنسي هو من أفرز تلك الصور المتناقضة. حينها قررت أن تسخر حياتها لتغيير ذلك الواقع المرير قبل اندلاع الثورة بأشهر من خلال إحدى المجلات السرية، كتابة وطبعا و توزيعا إلى جانب المجاهد يوسف بن خدة؛ وبعد اندلاعها، انخرطت بصفوف الجبهة، وتعددت مهامها، من طبع المنشورات، نقل العتاد، توصيل

[1] - Ibid, p 137.

[2] - بسماطي، مصطفى، (2014). **وفاة صديقة الثورة الجزائرية إيفلين سفير لافاليت**، جريدة الخبر اليومي، العدد 7373، ص4.

الطرود، وخاصة إيواء رموز ثورية عظيمة أمثال كريم بلقاسم، العربي بن مهيدي ، عبان رمضان ويوسف بن خدة رحمهم الله، دون أن تبالي لا بالموت ولا بالتعذيب ولا بعداء أسرتها لها، في سبيل قضية استقلال الجزائر.

لقد ساندت الثورة الجزائرية وإلى جانب آخرين ممن أحبوا الجزائر من الأقدام السوداء من بنات جنسها ممن ذكرتهن، ودون شك ذلك أسمى درجات الصداقة. أتمنى أن يكون هذا المقال حلقة أخرى نحو دفع الباحثين في تاريخ الثورة الجزائرية في تقديم أعمال حول أشخاص آخرين لا يزالون يقبعون في دائرة الظل، أو رحلوا إلى العالم الآخر حتى لا تطويهم سنوات النسيان وخاصة أنهم قدموا لثورتنا -التي تعد مفخرة لتاريخ الجزائريين- أغلى ما يملكون.

قائمة التعاليق:

1- غنية موفق صحفية جزائرية، عملت بالعديد من الصحف الجزائرية المستقلة المكتوبة باللغة الفرنسية.

2- محفوظ قداش: ولد في نوفمبر 1921 بالقصبة، وانخرط مبكرا في الحركة الوطنية الجزائرية (عضو في حزب الشعب انتصار الحريات الديمقراطية، ثم أمينا عام الكشافة الإسلامية الجزائرية، ثم رئيسا لها) . كما شغل منصب نائب رئيس الجمعية الدولية لعلم المكتبات، ثم عمل مفتشا عاما لمادة التاريخ في وزارة التربية، ثم أستاذا للتاريخ بجامعة الجزائر بمعهد علم المكتبات والتوثيق سنة 1946. ، وعندما دخلت الجزائر مرحلة التعددية الحزبية ساهم محفوظ قداش في الحركة السياسة وناضل في صفوف حزب جبهة القوى الاشتراكية. توفي في2006/08/07 بعد معاناة طويلة مع المرض. من مؤلفاته:

- الحياة السياسية في الجزائر العاصمة بين 1919 و1939
- تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية
- جزائر الجزائريين

- تاريخ الجزائر منذ العصور القديمة.[1]

3- أو أساطير لافونتين التي كتبها الشاعر الفرنسي «جان دي لافونتين» على لسان حيوانات. ترجمها إلى العربية محمد بك عثمان جلال تحت عنوان «العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ».

4- بعض تفاصيل وسائل تعذيب المجاهدين بغرض استنطاقهم:

- المغطس: يلقى فيه الأسير عاريا وهذا ليلا عندما يكون الجو باردا، ويترك فيه إلى أن يشرف على الموت خنقا. أو تربط يداه ورجلاه إلى قضيب حديدي مثبت على جانبي الحوض، وفي حالة رفضه الاعتراف يغطس رأسه في ماء الحوض القذر.
- الكهرباء: يوضع الأسير عاريا على طاولة وتكبل يداه ورجلاه ويبلل كل جسده لتسهيل عملية مرور التيار الكهربائي في جسمه، وتثبت أسلاك الكهرباء بمناطق حساسة من جسمه كالأذنين، اللسان والأعضاء التناسلية. كما يثبت إلى جدار، ورجلاه منغمستان في حوض من الماء، وهذه الطريقة الأخيرة تمارس بصفة خاصة ضد النساء. (إدريس سهيل، إدريس عايدة ، 1960: 25- 26).

5- اليد الحمراء (La Main Rouge) هي عصابة إرهابية قامت بتكوينها أجهزة الاستخبارات الفرنسية بهدف اغتيال رموز الحركات الوطنية في تونس والجزائر والمغرب. استمر نشاطها من سنة 1952 إلى فترة الستينات.

[1] – بوعزيز، يحي، (1986). **الأيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. ص 52 – 53.

ملحق الصور:

صور مأخوذة من الكتاب (جزائرية فقط... مثل نسيج)

ضورة غلاف الكتاب

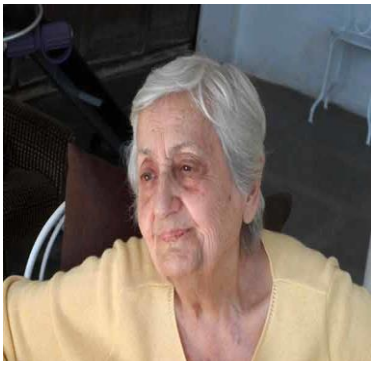

السيدة إفلين لافاليت

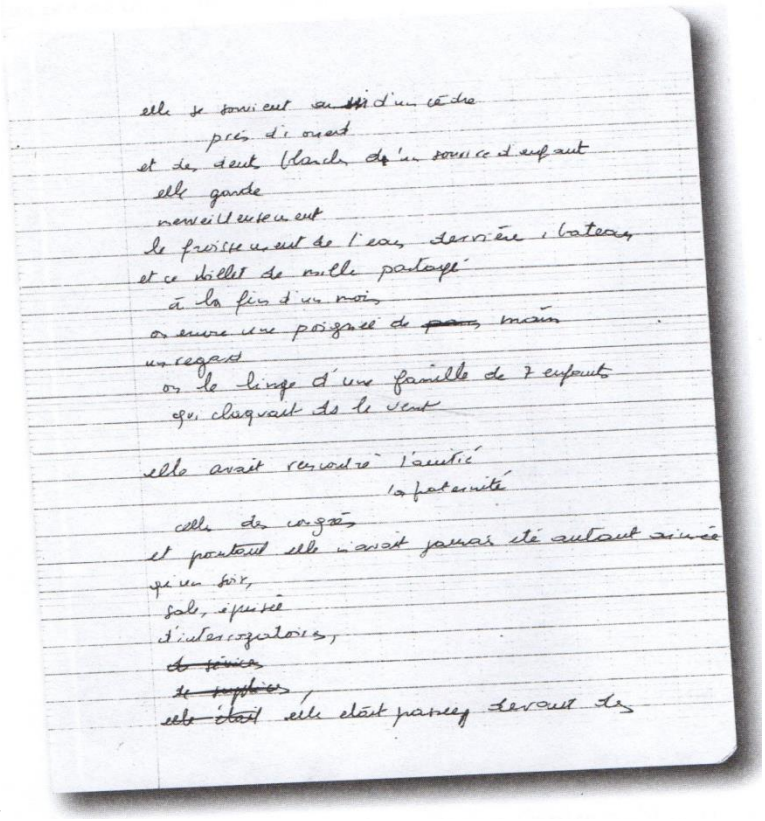

elle se souvient ~~aussi~~ d'un cèdre
près d'ouest
et des dents blanches d'un sourire d'enfant
elle garde
merveilleusement
le froissement de l'eau derrière le bateau
et ce billet de mille partagé
à la fin d'un mois
ou encore une poignée de ~~pain~~ main
un regard
ou le linge d'une famille de 7 enfants
qui claquait dans le vent

elle avait rencontré l'amitié
la fraternité
celle des copains
et pourtant elle n'avait jamais été autant aimée
qu'un soir,
sale, épuisée
d'interrogatoires,
~~de sévices~~
~~de supplices~~,
~~elle était~~ elle était passée devant les

→ الكراس الذي كتبت عليه مذكراتها

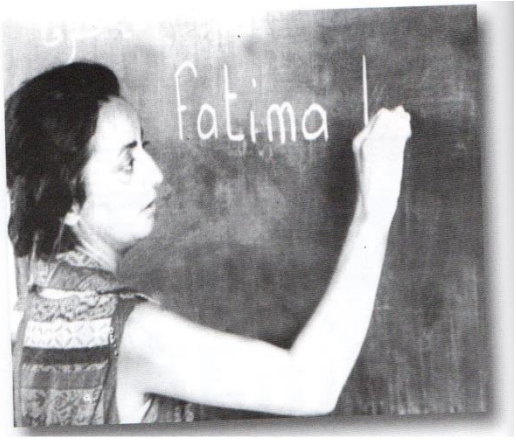

في دار الأيتام بتونس(صيف 1961)

تجمع جمعية الشباب (العاصمة 1950) الصورة التي عثرت عليها الشرطة و بها تم إلقاء القبض عليها

بعثة جزائرية (اليونسكو 1963) تظهر فيها إيفلين على يمين الصورة

إيفلين مع بعض صديقاتها المجاهدات (من اليمين إلى اليسار:آني ستاينر، أمينة زعنان، فاطمة بن عثمان، إيفلين، زوليخة بن قدور)

المجاهد الراحل الحاج بن علا

قائمة المراجع:

Eveline, Safir Lavalette. (2013). **Juste algérienne, comme une tissure**. Alger: Editions Barzakh.

إدريس، سهيل ،إدريس، عايدة، (1960). **الجلادون والاستجواب**، بيروت: منشورات دار الآداب.

بسماطي، مصطفى، (2014). **وفاة صديقة الثورة الجزائرية إيفلين سفير لافاليت**، جريدة الخبر اليومي، العدد 7373، ص4.

بوعزيز، يحيى، (1986). **الأيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

العادلي، محمود صالح، (2003). **الجريمة الدولية- دراسة مقارنة**، الاسكندرية: دار الفكر الجامعي.